من أهم المقاصد الأساسية للتربية الإسلامية حماية البيئة الإنسانية

أ.د/ هاشم عبد الظاهر إبراهيم
أستاذ الدعوة والثقافة الإسلامية - بجامعة الأزهر
وعميد كلية الدراسات الإسلامية والعربية بقنا

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه .

وبعد ،،

تمهيد :-

تضمن القرآن الكريم آيات متعددة تشير إلى أن الله - تعالى - عندما خلق الإنسان لم يخلقه على هيئة أو طبيعة ملائكية بحيث يكون مفطورا على الخير فحسب ، كما أنه لم يخلقه على هيئة أو طبيعة شيطانية مفطورا على الشر فقط ، ولكنه- سبحانه - سوى نفس الإنسان ملهماً إياها الخير والشر ، والصلاح والفساد ، أو بحسب التعبير القرآني الفجور والتقوى [١] ، وهكذا أراد الله - تعالى - ليكون الابتلاء للإنسان كما قال تعالى ﴿ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾ [٢] ، وأفلح هو من ينجح فى الابتلاء بتزكية نفسه ، والخائب من يرسب فى الابتلاء بإفساده واتباعه لهوى نفسه ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾ [٣] .

هذا هو الأساس فى قضية الصلاح والفساد فى الكون ، وكان وجود الخير والشر ، والصلاح والفساد فى الكون أمر قدرى لا محيص عنه ، وإرادة كونية بمعنى أن الله تعالى قدر أن يكونا موجودين فى الكون لإبتلاء الإنسان فلا يمكن لأحد أن يمنع الشر ويقضى على الأشرار تماما ، وإنما ليكون جهاد الإنسان للقضاء على

---

[١] قال تعالى : " ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها " الشمس /٧ :٨ .
[٢] الأنبياء /٣٥ .
[٣] الشمس / ٩ :١٠ .

الشر وتقليص الفساد ، وبمقدار جهاد الإنسان نفسه متبعاً لأوامر الله -جل وعلا - للقضاء على الفساد ، ومكافحة الشر والآثام ، بمقدار ما يكون قربه من الله- تعالى - واستحقاقه لجزائه الأوفى ، وهذا ما يتعلق بإرادة الله الشرعية المرتبطة بافعل ولا تفعل ، وعندما يجاهد البشر أهواءهم محققين إرادة الله الشرعية يكون الطهر ويتحقق الخير ويعم الصلاح ، والعكس صحيح عندما يخالفون إرادة الله الشرعية فلا يفعلون حين يطلب منهم أن يفعلوا ، ويفعلون حين يطلب منهم ألا يفعلوا ، حينئذ يكون الفساد ويحدث التلوث تلوث البيئة الاجتماعية ، والنفسية والطبيعية وتنتشر الشرور والآثام في الكون ويظهر الخلل والعورات .

هذه الكلمات منطلق أساسي ننطلق منه في حديثنا عن موضوع حماية البيئة من التلوث والفساد .

البيئة من هموم الناس [1] التي يعنى بها الإسلام

محاولة العلمانيين والملحدين عزل الدين عن الحياة :

المحاولة الدائبة لعزل الدين [2] عن الحياة وحصره في دائرة ضيقة لا تتعدى الفرد ليكون أمراً شخصياً لا علاقة له بالمجتمع ولا شأن له بالحياة ، هذه المحاولة مستمرة يتولى كبرها العلمانيون ومن لف لفهم من المسلمين الجاهلين .

ونحن نشير في هذه العجالة إلى " إن دعوات عزل الدين ، عن الحياة وهموم الناس ومعالجة مشكلاتهم والانتصار إلى قضاياهم ، هي مؤامرة كبرى على الإنسان نفسه ، وعودة إلى تسليط الإنسان على الإنسان ، والتمكين لعبودية البشر ، لذلك أن الإنسان هو المخلوق المتدين ، كما يرى علماء الاجتماع ، فلا إنسان بلا دين ،

---

(١) أفدت من كتاب " الإسلام وهموم الناس " في هذا الموضوع ، لمؤلفه أحمد عبادي .

(٢) المقصود بالدين " الإسلام رسالة سيدنا محمد -ﷺ -" الذي ورثت الرسالات السابقة ، وبظهورها يجب ألا تبقى رسالة سماوية ولا دين سماوي ، فمن أراد أن يكون ذا دين صحيح وإيمان مقبول عند الله يهوديا كان أو نصرانياً يجب عليه أن يترك دينه فورا ويؤمن بما جاء به محمد -ﷺ- وإلا كان كافراً.

والذى لا يدين دين الحق ، فسوف يقع بأديان باطلة ، والذين يحاربون الدين ، ويحاولون عزله عن الحياة ، بعد أن عجزوا عن استئصاله من الفطرة البشرية إنما يحاربونه ، ليقيموا من أنفسهم آلهة ، ويضعوا للناس تشاريع ، وأديان تمكنهم من التسلط ، واستلاب إنسانية الإنسان .

والذين يفهمون التدين على أنه انسحاب من الحياة وابتعاد عن هموم الناس ، ومعالجة مشكلاتهم وقضاياهم ، والذين يعيشون فى المقابر بدل الحواضر والمدن والحياة ، ويؤولون الدين تأويلات جاهلة ، تؤدى إلى العطالة والانسحاب فإن فهمهم بحاجة إلى المراجعة والتصحيح .. والذين يفهمون أن غاية مافى التدين هو أداء الصلاة والصيام والحج .. الخ ، بعيدا عن المساهمة [1] فى قضاء حاجات الناس ، ومعالجة مشكلاتهم ومجاهدة الظلمة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فإن فهمهم بحاجة أيضاً إلى إعادة المراجعة والتقويم .. ولو صاموا ، وصلوا وحجوا ، وزكوا ، يبقى إيمانهم منقوصا .

وقد تكون المشكلة ، كل المشكلة ، بفهمهم ، وظنهم ، أن هذه هى صورة وحقيقة التدين المطلوب ، بعيدا عن سيرة الرسول - ﷺ- وفهمهم خير القرون وممارستهم ، ولايكتفون بهذا الفهم المعوج ، وإنما يستدلون على صواب تدينهم بسلامتهم من الأذى والمشكلات ، وبعدهم عن أن تنالهم يد الظلمة ، وتقع بهم الفتنة دون أن يدروا أن الذى ينسحب من الحياة ، ويخرج من الحاضر والمستقبل ، هو إنسان خارج الاجتهاد والعقل والتفكير ، ولايخطئ ولا يصيب أيضاً ، فهو يساوى العدم ، لأنه يلغى نفسه ودوره ، ورسالته ، ويعيش فى المقابر ، لكن مع وقف التنفيذ ، أى وقف الدفن ، ودليل ذلك أن بعضهم يستغيث ويتوسل بالأموات ، ويلتحق بهم ، لأنه لا يحاسب على ذلك بل يظن أنهم ، وهم الأموات ، أكبر قدرة منه على قضاء حاجاته ، ومعالجة مشكلاته ، وهذا الرصيد السلبى من المتدينين .

قد يحقر الإنسان صلاته أمام صلاتهم ، وحجه أمام حجهم ، وصومه أمام صومهم .

---

[1] هكذا وردت بالنصح والصواب الاسهام .

وهذه الظواهر السلبية الخطيرة فى الانسحاب من الدنيا ، والخروج من حمل هم الناس والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، لا أدرى كيف تنسجم مع الإسلام الذى جاء به محمد بن عبد الله - ﷺ- لتقويم مسيرة الحياة - ومدافعة الظلم والظالمين ، حتى لو كلف ذلك الإنسان عنقه - إذا كانت المدافعة منضبطة بالضوابط الشرعية والرسول - ﷺ- يقول : سيد الشهداء : حمزة بن عبد المطلب ، ورجل قام إلى إمام جائر ، فأمره ونهاه فقتله " (حديث حسن ، رواه الحاكم من حديث جابر) !؟ فليست الغاية هنا القتل ، وإنما يصبح القتل غاية بحد ذاته ، فى مرحلة معينة ، عندما يحقق يقظة أمة ، وفضح الظلم والظالمين " [١]

إن الإسلام لا يرضى لأتباعه أن ينسحبوا من الحياة تاركين للعلمانيين والملحدين تنظيم الحياة ومحاولة تجميلها وتنظيفها بأسلوبهم البشرى القاصر الذى - إن صح - فإنه سيلتقى لا محالة - مع الإسلام الدين الفطرى الذى جاء لتصلح به الحياة فى كل جوانبها .

ولكن ما الحيلة إذا كانت المؤامرة على الإسلام ومحاولة عزله عن الحياة تأتى من الداخل بعد أن كانت فى الماضى تأتى من الخارج الإسلامى ؟ ما الحيلة إذا كانت المؤامرة العلمانية ' تأتى من الداخل الإسلامى ، وتتسلل على يد طبقات من المخرفين ، والصوفية المنحرفة ، والمرجئين الجدد، بعيداً عن أية مسئولية تجاه الأمة ، فتستوعب هذه الصور من التدين ، وتغرى السذج والبسطاء ، الذين يخادعون أنفسهم بهذا اللون من التدين الخادع ، والاطمئنان الكاذب ، البعيد عن أية تبعة ، أو على يد مجموعة من فقهاء العصر ، أصحاب العقل المستنير !! الذين يحاولون تقطيع الرؤية الإسلامية ، والانتقاء منها ، ومحاصرتها فى أسباب النزول ، من حيث الزمان والمكان ، واستخدام بعض الآيات والأحاديث وعلى رأسها قول الرسول -ﷺ- " أنتم أعلم بامر دنياكم " (رواه مسلم عن انس وعائشة) للتفريق بين الدين ، وتعاليمه وعباداته ، والدنيا وتشريعاتها وعلاقاتها .. بعيداً عن البيان النبوى ، وفهم خير القرون ، وبذلك يفرقون بين الرسول النبى -ﷺ- الواجب

---

[١] الإسلام وهموم الناس /١٣ : ١٤ - تأليف أحمد عبادى ، تقديم / عمر عبيد حسنه - كتاب الأمة سلسة دورية عن وزارة الأوقاف بقطر ، العدد / ٤٩ ، السنة الخامسة عشر

الاتباع، والرسول الحاكم المجتهد ، الذى يخطئ ويصيب ، ويقررون أن لا علاقة للوحى باجتهاد الرسول -ﷺ- كحاكم ، لذلك فلا بأس أن يقيم الإنسان الصلاة ، ويؤتى الزكاة ، ويصوم رمضان ، فى ممارساته الفردية ، ومسالكه الشخصية ، أما فى مجال الحكم والمجتمع ، ومعالجة هموم الناس ، فليس مطلوبا منه شرعا الاقتداء بسنة الرسول -ﷺ- .

وليس ذلك فقط ، حتى فى مفهوم العبادة الخاص ، يحاولون تقسيم السنن إلى سنة عادة ، غير واجبة الاتباع ، وسنة عبادة ، واجبة الاتباع ، أما الضوابط لهذا التمييز ، فهى الأمزجة الشخصية ، وما يتوهم من المصالح ، وليس المناهج والضوابط الشرعية .

وهنا قضية تكاد تكون أصبحت من المسلمات ، وهى أن إلغاء النزوع إلى الدين وتبديل خلق الله ، ومحاولة اقتلاع الفطرة التى فطر الله الإنسان عليها ، قال تعالى ﴿ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ﴾ [١] بات أمرا مستحيلا ، لمن يستقرئ التاريخ ويقرأ الواقع ، عل الرغم من كل الممارسات ، التى لا تزال مستمرة .. وما سقوط الاتحاد السوفيتى بأيدلوجياته وفلسفاته ، وعودة الإنسان إلى فطرته ، التى فطره الله عليها إلا دليل على أنه لا إنسان بلا دين " [٢] .

هذا وسنشير - فى عجالة - إلى مدى اهتمام الدين - الإسلام - بالناس اصلاحا وتنظيما وتحقيقا للسعادة ، والأمن ، والسلام ، ليظهر لكل منصف أنه -حقا وفعلا- لا إنسان بلا دين فبغير الدين الحق وتعاليمه تصبح الحياة فساداً ، وشقاء ودماراً للبيئة بكل أنواعها طبيعية واجتماعية - لأن كل إنسان لن يعنى إلا بنفسه ، و عنايته بنفسه لا يعرف لها حدوداً - لأنه ظلوم جهول - الأمر الذى يترتب عليه ظلم نفسه ناهيك عن ظلم غيره .

---

[١] الروم /٣٠ .

[٢] الإسلام وهموم الناس /١٦ :١٧ .

لهذا سنشير – كما قلت : – فى عجالة – عن اهتمام الإسلام بهموم الناس من خلال النصوص القرآنية ، و الأحاديث النبوية الصحيحة ، ومن خلال تطبيق هذه النصوص إلى واقع تمثل فى سيرة سيدنا رسول الله –ﷺ– .

من نصوص القرآن الكريم فى تبنى هموم المجتمع !

فى هذا الصدد النصوص متعددة ، لا يتسع المجال لإيرادها وسنكتفى منها ببعضها :

فمن ذلك قوله تعالى :﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ (١)

ومنها قوله سبحانه : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (٢)

ومنها قوله – جل وعلا : ﴿ وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ (٣)

فمن هذه الآيات يتبين لنا مدى عناية القرآن الكريم بهموم الناس وتوجيهه المؤمنين بأن يعنى الواحد بغيره عنايته بنفسه لتحقيق البر والوصول إلى الحق ،والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر متسلحين بالصبر ، وهل يحتاج الناس إلى أكثر من أن يحققوا البر – وهو كلمة واسعة ، ومعنى كبير لكل معانى الخير – هل يحتاجون أكثرمن التواصى بالحق ، والتواصى بالصبر ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ليعم الخير ويشيع الصلاح وينقطع دابر الفساد فى كل جوانب الحياة ؟! .

---

(١) المائدة /٢ .

(٢) آل عمران /١١٠ .

(٣) العصر /١ :٣ .

من نصوص السنة النبوية الشريفة فى تبنى هموم المجتمع :

فإذا ما ولينا وجوهنا شطر السنة النبوية الشريفة ، نجد النصوص تترى فى هذا الصدد بحيث لا يتسع المجال - أيضاً - لذكرها ، وسنكتفى بإيراد بعض هذه النصوص كأمثلة للوفاء بالغرض ، وكما قيل :- حسبك من القلادة ما أحاط بالعنق-

وبادئ الرأى نقول : إن الناظر فى هذه النصوص ، والمتعامل معها ، يلاحظ أن فى الإسلام نظاما كاملا لإقامة العلاقات الاجتماعية [١] بين الناس على وجه يبعد كل الأدواء ، التى تنخر كيان المجتمعات ؛ لأن الأدواء والعلل هى التى تفرز الفساد فى كل نواحى الحياة وجوانب البيئة الإنسانية ، وكما قلنا :- مالم يهتم الإنسان بأخيه الإنسان فلا صلاح البتة للبيئة الإنسانية والبيئة الطبيعية .

من أجل ذلك كان هذا النظام الكامل فى العلاقات الاجتماعية حيث يكون حجر الزاوية فيه اهتمام الإنسان بالإنسان ، وهو نظام حرى بأن يبحث فيه وتوضح معالمه فى دراسات جادة متعددة وموضوعية ، لكنا سنكتفى بإيراد طرف من هذه النصوص المتعلقة بالسنة النبوية الشريفة لندرك مدى عناية السنة بتبنى هموم الناس .

فمن ذلك ماروواه الإمام البخارى عن ابن عمر -رضى الله عنهما - أن رسول الله-ﷺ- قال : " المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ، من كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته ، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة " [٢] .

---

[١] ينظر بتوسع : فى موضوع العلاقات الإنسانية فى البحث الذى حصل به الباحث على درجة الدكتوراه فى موضوع الإسلام ومنهجه فى تدعيم العلاقات الإنسانية بمكتبة كلية أصول الدين القاهرة ، غير منشور .

[٢] رواه البخارى فى كتاب المظالم حديث رقم /٢٤٤٢ ، ومسلم فى كتاب البر والصلة حديث رقم /٥٨ .

ومنها مارواه أبو داود والترمذى عن جابر وأبى طلحة - رضى الله عنهما - أن رسول الله -ﷺ- قال :" مامن مسلم يخذل مسلما فى موضع تنتهك فيه حرمته - وينتقص فيه من عرضه ، إلا خذله الله فى موطن يحب فيه نصرته وما من مسلم ينصر مسلما فى موضع ينتقص فيه من عرضه ، وينتهك فيه من حرمته ، إلا نصره الله فى موطن يحب فيه نصرته " [١] .

وعن ابى ذر - ﷺ- قال : " أوصانى خليلى - ﷺ- بخصال من الخير : أوصانى أن لا أنظر إلى من هو فوقى ، وأن أنظر إلى من هو دونى ، وأوصانى بحب المساكين ، والدنو منهم ، وأوصانى أن أصل رحمى ، وإن أدبرت ، وأوصانى أن لا أخاف فى الله لومة لائم ، وأوصانى أن أقول الحق ، وإن كان مراً ، وأوصانى أن أكثر من لاحول ولا قوة إلا بالله ، فإنه كنز من كنوز الجنة "[٢]

وعن أبى موسى الأشعرى -ﷺ- عن النبى -ﷺ- قال " المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ، وشبك بين أصابعه " [٣]

وقد ورد فى رواية الكشميهنى : " يشد بعضهم بعضا " بصيغة الجمع وهو أدل على التفاعل . [٤]

إلى غير ذلك من الأحاديث التى تحث المسلمين على أن يهتموا بشئون بعضهم البعض لتحقيق الخير وإشاعة البر ودرء المفسدة وجلب المصلحة .

من مواقف الأسوة الحسنة -ﷺ- فى تبنى هموم المجتمع :

الأمر أكبر وأعظم من أن نحيط به ؛ لأنه يتعلق بكل سيرته -ﷺ- ومن ثم فإننا سنشير -أيضاً- إلى بعض مواقفة فى هذا الصدد ، والتى منها : أنه -ﷺ-

---

[١] رواه أبو دواد فى سننه حديث رقم /٤٩٤٦ ، والترمذى فى سننه حديث رقم /١٤٢٥ .

[٢] رواه أبو داود فى سننه فى كتاب الأدب حديث رقم/٤٨٨٤ .

[٣] رواه البخارى فى كتاب المظالم باب (نصر المظلوم) حديث رقم/٢٤٤٦ .

[٤] ابن حجر العسقلانى . فتح البارى ٥/٩٩ .

ولأنه مطبوع على هذا الخلق منذ نشأته وقبل بعثته -فقد وجدناه - وسنه لم يتجاوز العشرين سنة - يشارك فى حلف الفضول الذى من مقتضاه نصر المظلوم والتآسى فى المعاش ، وإلى هذا يشير ابن سعد فى طبقاته : " كان الفجار فى شوال "وهذا الحلف فى ذى القعدة ، وكان أشرف حلف كان قط ، وأول من دعا إليه الزبير بن عبد المطلب ، فاجتمعت بنو هاشم وزهرة ، وتيم فى دار عبد الله بن جدعان ، فتعاقدوا وتعاهدوا بالله لنكونن مع المظلوم حتى يؤدى إليه حقه - مابل بحر صوفه ، وفى التآسى فى المعاش ، فسمت قريش ذلك الحلف ، حلف الفضول .

قال : وأخبرنا محمد بن عمر قال : فحدثنى محمد بن عبد الله عن الزهرى ، عن طلحة بن عبد الله بن عوف عن عبد الرحمن بن أزهر عن جبير بن مطعم قال ، قال رسول الله ﷺ:- ما أحب أن لى بحلف حضرته بدار ابن جدعان ، حمر النعم ، وانى أعذر به ، هاشم وزهرة ، وتيم تحالفوا أن يكونوا مع المظلوم - مابل بحر صوفة - ولو دعيت به فى الإسلام لأجبت وهو حلف الفضول " [١]

أما بعد بعثته -ﷺ- فهو المثل الكامل - ﷺ- والأسوة الحسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ، فهو يدلنا بخلقه وسلوكه وفعله على أنه رحمة للعالمين ، وإليك مثالين من أقواله وأفعاله -ﷺ- لتعرف مدى اهتمامه بشئون الآخرين .

فمن ذلك مارواه جابر بن عبد الله -رضى الله عنهما - أن رسول الله -ﷺ-كان إذا خطب يقول:"من مات وترك مالاً فلأهله ، ومن ترك دينا،أو ضياعا فإلى وعلى " [٢]

ومن ذلك مسارعته إلى تقصى أسباب الخطر ومصادره ليدفعه عن الناس ، فعن أنس بن مالك ، -رضي الله عنه- قال : كان رسول الله -ﷺ- أشجع الناس ، وأحسن الناس ، وأجود الناس ، قال : فزع أهل المدينة ليلة فانطلق الناس قبل الصوت ، فتلقاهم رسول الله - ﷺ- وقد سبقهم وهو يقول : " لن تراعوا " وهو على فرس

---

[١] ابن سعد ، الطبقات الكبرى ١/١٢٨ :١٢٩ .

[٢] الطبقات الكبرى لابن سعد ١/.١٢٨ :١٢٩

لأبى طلحة عُرْى[١] فى عنقه السيف ، قال : فجعل يقول للناس : " لن تراعوا " وقال ووجدناه بحرا " : يعنى الفرس " [٢]

إن الأحاديث التى يحث فيها رسول الله -ﷺ- أمته على تبنى هموم بعض أعضائها هموم بعضهم الباقى هذه الأحاديث كثيرة ومباشرة .

ويمكننا أن نشير بصفة عامة إلى أحاديثة -ﷺ- فى تحريم الغش والاحتكار ، وتلقى الركبان ، وبيع الحاضر للبادى ، والرشوة ، وكذا أحاديثه -ﷺ- فى الأمر بالقسط والعدل ، والإصلاح بين الناس ، وإيجاب التكافل ، والأمر بالزكاة والصدقة ، وكذا سلوكه العملى ، أمور كلها تصب فى هذا المصب ، ورب قائل يقول - كما قلنا آنفا - بل كل سيرته ، وكل أحاديثه -ﷺ- تصب فى هذا المصب ، وهذا حق وصدق ، غير إنه لا يمكن حصر كل ذلك فى مثل هذا المقام ، ويكفى من القلادة ما أحاط بالعنق .[٣]

هذا وقد تبنى صالحوا الأمة - من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان - هموم الناس اقتداء بسيرة المعصوم -ﷺ- وطلبا لرضوان الله -تعالى - فسعدت بأفعالهم وسلوكياتهم الحياة ، وكانوا - أعنى صالحى هذه الأمة - خيرا على الناس أجمعين فى كل زمان ومكان ، ولا يتسع المجال لسرد نماذج من هؤلاء الأخيار كأمثلة للقارئ الكريم ، ومن ثم سأكتفى بإحالته على هذا البحث القيم [٤] ، الذى ضمنه صاحبه حديثا مفيداً عن اهتمام هؤلاء الصالحين الكرام بهموم الناس وشئون الأنام .

---

[١] لا سرج عليها .

[٢] الطبقات الكبرى لابن سعد ٣٧٣/١ .

[٣] الإسلام وهموم الناس ٦٠ بتصرف يسير .

[٤] ينظر المصدر السابق /٥٣: ٨٦ .

من مقتضيات عالمية الإسلام اهتمامه بشئون الأنام :

وقبل أن ننتهى من هذا الموضوع – موضوع تبنى الإسلام لهموم المجتمع – نجد من الضرورى أن نبين أن اهتمام الإسلام لشئون الناس لا يقتصر على المجتمع المسلم فقط – بل يمتد – وجوبا وحتما – وليس – ندبا واستحبابا – يمتد هذا الاهتمام إلى كل الناس فى كل المجتمعات وفى كل الأماكن وفى كل الأزمان .

وما أجمل ماذكره أحد الباحثين فى هذا الصدد قائلا – أثابه الله – : يتحرك الإسلام ، فى توجيهات الأساسية والتفصيلية ، لكى يبنى الفرد ، ويرسى المجتمع ، ويعزز علاقاته ، ويمتن أواصره ، ويعمق وحدته .. حركة هندسية مرسومة ومنطقية

إنه يبدأ من الذات باتجاه الموضوع ، ومن الفرد باتجاه الجماعة ، ومن الآنى باتجاه المستديم ، ومن البيئة باتجاه العالم ، ومن المحدود باتجاه المطلق ، كما أنه يتحرك بصيغة الاندماج الذى تنفذه الموجة ، وهى تندفع دائريا : متسعة شيئا فشيئا ، باتجاه حالة أكثر شمولية وامتدادا .

فها هنا بمقدور المرء أن يلحظ ، كيف أن التوجيهات الإسلامية فى كتاب الله وسنة رسوله –ﷺ– تطلب – فى البدء – تعزيز الذات ، وتغييرها المتواصل إيمانيا ، ثم تمضى باتجاه الأسرة ، الأقرب إلى الإنسان الفرد ، فى علاقاته الخارجية ، ومن هناك تنداح الدائرة باتجاه الجار ، والقربى ، والحى ، والمدينة ، فالمجتمع المسلم ، فالأمة الإسلامية على امتدادها ، فالشعوب والأمم المجاورة ، فالإنسانية جمعاء .

إن بؤرة الحركة ، هى الذات ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ (١) و﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ (٢) وحدها الآخر هو البشرية ، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (٣) و ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ (٤) ، وما

---

(١) الأنفال /٥٣ .

(٢) الرعد /١١ .

(٣) الأنبياء /١٠٧ .

(٤) ص /٨٧ .

وما بين الذات ، والبشرية ، تتحرك المعطيات الإسلامية ، تشريعا ، وتوجيها ، لكى ترسم لكل حالة طريقها ، وتضع كل ممارسة فى مكانها الموزون ، ولكى ما يلبث هذا الجهد الديناميكى ، الذى لايقف عند حد ، أن يساهم فى صياغة الحياة الإسلامية المتوازنة ، المستقيمة ، الآمنة ، السعيدة ، القديرة على العطاء بقطبيها : الفرد المسلم ، والمجتمع المسلم .

ومن ثم نعرف لماذا كان فى نسيج المعطيات الإسلامية ، ذلك التأكيد على بناء الفرد ، يقابله ، ذلك التأكيد على حقوق الجار ، ومطالب الحى ، والمدينة ، وصولا إلى المجتمع ، فالأمة ، فالعالم ، إننا إذا تصورنا المسألة ، ببعدها الهندسى ، فإن كل جار – على سبيل المثال – سيكون مضمون الحق من جاره ، ضامنا لحق جاره الآخر ، فى سلسلة متواصلة ، تغطى الحى كله ، فالمدينة ، فالمجتمع .. إلى آخره .. ومعنى هذا ، أن الضمان لن يكون ثنائياً بين جار وجار ، وإنما شاملا للأسر كلها ، للبيوت جميعا فى هذا الحى الإسلامى ، أو ذاك ، وفى هذه المدينة ، أو تلك ، وسيعيش الجميع فى انسجام وألفة وأمان .

إن التعاليم الإسلامية –لهذا الهدف – لاتترك صغيرة ، ولا كبيرة ، فى نظام العلاقات البشرية ، لم تخطط لها ، وتضعها فى حالتها التوازنية القصوى : الفرد ، الأسرة ، الجوار ، الحى ، المدينة ، الدولة ، المجتمع ، الشعب ، الأمة ، والعالم ، ومن أجل هذا .. من أجل تلك التغطية الدقيقة الشاملة ، لكافة الدوائر والمساحات فى الحياة البشرية ، من أجل الحركة التى تأخذ بحسبانها كافة الأقطاب . التى تشارك فى صنع الحياة بدءا من الفرد ، وانتهاء بالعالم .. من أجل عدم تعجل التعاليم الإسلامية فى التعامل مع كل خلية ، فى نسيج المجتمع الإسلامى ، والبشرى عموما

من أجل هذا كله ، خيل لبعضهم أن الإسلام هو عقيدة تحقيق الذات ، وخيل لبعضهم أنه دين " الجماعة " [١]

---

[١] رؤية إسلامية فى قضايا معاصرة /٥٥ : ٥٦ – للدكتور عماد الدين خليل ، سلسلة كتاب الأمة تصدرها وزارة الأوقاف بقطر ، العدد /٤٥ ، السنة الخامسة عشرة .

وعلى هذا فإنه يمكننا أن نقرر-ونحن مطمئنون -فى إطار النظرية الإسلامية يمكننا أن نقرر بأن سلامة البيئة الإنسانية الطبيعية مرهون بسلامة البيئة الاجتماعية التى لا مكان فيها للأنا فقط بل مع الاهتمام بالأنا يكون الاهتمام بالآخر سواء كان جار قريبا أو بعيدا ، أخا فى النسب أو فى الدين أوفى الإنسانية ، فهذه دوائر لها حقوق يقررها الإسلام ، ومن حقوقها الحرص على ما ينفعها ، والعمل على دفع كل ما يضرها ، وهذا ما تصلح به الحياة والبيئة الإنسانية الطبيعية ، وغيابه هو الذى أدى إلى تدهور البيئة وحدوث التلوث حيث تبنى أغلب أفراد العالم الإنسانى ودوله المبدأ الجائر : (أنا ومن بعدى الطوفان) !!

من آليات التربية الإسلامية لحماية البيئة الإنسانية

تمهيد :

لعل القارئ الكريم - يتساءل :- هل يدخل فى نطاق البحث الحديث عن البيئة الطبيعية من أشجار ، وهواء ، وأرض ، وماء ، وإذا كان ذلك كذلك فلم النص على البيئة الإنسانية ؟

ونقول : إنه لا يعنى النص على البيئة الإنسانية إهمال البيئة الطبيعية ، بل على العكس تماما فإن البيئة الطبيعية مقصودة فى حديثنا بالدرجة الأولى ؛ لأنها تتصل بالبيئة الإنسانية اتصالا وثيقا ، ويبدو وجه الاتصال فيما يلى :

أولاً : أن الله - تعالى - خلق هذه البيئة - الأرض بهوائها ، ومائها ، وأشجارها وكل ما عليها من أجل الإنسان ، وهذا صريح قوله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ (١) .

ثانيا: وأشمل من هذا دلالة على أن الله - تعالى - لم يخلق الأرض ، وحدها للإنسان بل خلق له كل مافى السماوات وما فى الأرض -أشمل من هذا قوله تعالى:﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٢)

وبهذا نكون قد أصبنا كبد الحقيقة عندما ننص على البيئة الإنسانية لتشتمل من ضمن ما تشتمل - على البيئة الطبيعية .

---

(١) البقرة /٢٩ .

(٢) الجاثية /١٣ .

البيئة الطبيعية مخلوقة على هيئة الصلاح :

هذا - وقبل أن نتحدث على قدر ما يتسع المقام - عن آليات -إن صح التعبير- التربية الإسلامية لحماية البيئة الإنسانية نبادر فنشير إلى أن هذه البيئة - إنسانية وطبيعية - مخلوقة على هيئة الصلاح لم يحدث لها الفساد إلا بفعل الإنسان بل إن هذا الفعل على مايبدو من النص الكريم فى القرآن الكريم والسنة المطهرة - هذا الفعل كان متوقعا تعرفه الملائكة بدليل تساؤلهم عندما أخبر الله - تعالى - أنه جاعل فى الأرض خليفة - فقد تساءلوا قائلين : " أتجعل فيها من يفسد فيها .. " ولنقرأ الآية موضوع هذه القضية بتدبر .

يقول تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [1]

فالنص واضح الدلالة على أن الله - تعالى - خلق الأرض - البيئة الطبيعية - على هيئة الصلاح لا فساد فيها أبدا ، وإنما طرأ عليها الفساد بفعل الإنسان الذى حدث -فعلا - كما أخبرت الملائكة [2] !!

---

[1] البقرة /٣٠ .

[2] واضح من دلالة النص أن الله - تعالى - لم ينف ماتساءل عنه الملائكة من إفساد الإنسان ، وهو أمر بدهى ؛ لأنه تعالى عالم الغيب ، وقد أعلم الملائكة هذا الأمر ، ومن ثم يتساءلون ، لكن الله - تعالى - مع إقراره أن الإفساد أمر وارد من الإنسان ، إلا أنه أخبر الملائكة بأمر أخر لم يكونوا على علم به وهو خصيصة العلم ، " وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما انبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إنى أعلم غيب السماوات والأرض وأعلم ماتبدون وما كنتم تكتمون " (البقرة / ٣٠:٣١) فلما ظهر لهم خيرة آدم عليهم بالعلم الذى جعله أهلا لخلافة الله فى الأرض سلموا وازدادوا إيمانا بعلم الله - تعالى - وعظيم حكمته .

البيئة الإنسانية – كذلك- مخلوقة على هيئة الصلاح :

كذلك خلق الله الإنسان مفطورا على معرفته والإيمان به ، ولو ترك وشأنه لاستمر صالحا ، ومؤمنا بالله – تعالى – ولكن الإنسان يتدخل فيفسد البيئة الإنسانية بأن يؤثر الإنسان المنحرف عن الإيمان بالله والدين الحق على غيره المفطور على هذا الإيمان ، وبخاصة إذا كان هذا الإنسان صاحب تأثير على غيره ولاية ، وتربية ، وسيادة .. الخ .

ولقد أدرك من لا ينطق عن الهوى -ﷺ- هذا المعنى وعرف أثر هذا العامل – عامل البيئة – وتأثيره ، فنبه عليه ، ولفت الأنظار إليه .

وقد كتب أحد الباحثين [1] فى هذا الصدد كلاما قيما أحببنا أن ننقله – على طوله – لأهميته ومناسبته .

قال أثابه الله : " .. أما بالنسبة لعامل البيئة فقد أولته السنة النبوية كل اهتمام وعناية لما له من أثر فعال -إلى جانب عامل الوراثة – فى تنشئة الوليد ، فعامل البيئة الذى يتمثل فى العناصر والمؤثرات الخارجية له خطورته وفعاليته فى تحريك وتنشيط وتنمية القدرات والاستعدادات الفطرية التى إن أهملت وأغفلت فلن تساعد " الفرد " على النمو المتكامل ولا المجتمع على التطور والنهضة .

وقد تستغل العوامل البيئية بمؤثراتها المختلفة فى تضليل وإفساد الفرد البشرى منذ نشأته الأولى ، بما يدل على مدى تأثير عنصر البيئة الخارجية فى التعتيم على الاستعدادت والقدرات الفطرية وطمسها ، وتكديس ركام ثقيل من التعمية عليها مادامت لاتستطيع الغاءها نهائيا .

---

[1] د/ عبد الحميد الصيد الزنتانى فى كتابه (أسس التربية الإسلامية فى السنة النبوية ، ص/١٧٢ ، وما بعدها ، ط : الدار العربية للكتاب .

عن أبى هريرة -رضي الله عنه- أنه كان يقول : قال رسول الله -ﷺ- : " ما من مولود إلا يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه ، وينصرانه ، ويمجسانه ، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيه من جدعاء " [١]

إن هذا الحديث - والكلام لا يزال للباحث سالف الذكر - يثبت أهمية الفطرة أو الوراثة وأهمية البيئة معا ، كما يدل على خطورة وفعالية عنصر " البيئة " بمؤثراتها الخارجية فى طمس " ما فطر عليه المرء من قدرات واستعدادات " والتعتيم عليها ، والتى لو توفرت لها البيئة الصالحة ، والظروف الملائمة لأعطت أحسن الثمار ' فالإنسان " يولد على الفطرة بريئا طاهرا غير وارث للضلالة أو الشر أو الخطيئة ، ولكنه قد يضل الصراط المستقيم إذا عاش فى الأنحراف والسوء والفساد فى وسط عائلى سقيم بين أبوين ضالين ، أو فى بيئة اجتماعية منحلة مليئة بالانحراف والخطايا .

وهكذا يتضح لنا أن السنة النبوية تؤكد أهمية ما يفطر عليه المرء وراثيا ، وتؤكد فعالية البيئة الخارجية : الطبيعية الإنسانية ، فى توجيه وتنمية وصقل ما فطر عليه المرء من استعدادات وقدرات كامنة إن خيرا فخير وإن شرا فشر .

وبذلك تنبه السنة - يقول الباحث - الآباء والمربين إلى ضرورة احترام القوى الطبيعية ، والقدرات والاستعدادت الفطرية لدى الوليد البشرى منذ مهده ووثق تدرج نموه بمراحله المختلفة وخصائصها وتوفير الوسط البيئوى الصالح له ، روحيا ونفسيا وخلقيا ، واجتماعيا ، وثقافيا ، واقتصاديا ، وترويحيا ، وتنقية أية شوائب أو مظاهر انحراف تعترض طبقة تنشئته السليمة ، ومراعاة مستوجبات فطرته البريئة التى فطر الله - عز وجل - عليها فالإنسان خير وبرئ بالفطرة ، وإذا ما عاش فى بيئة غير صالحة ، انساق فى تيار الضلالة والطلاح .

---

[١] صحيح مسلم ٥٢/٨ ، ط : صبيح بمصر .

البلطجة وتدهور البيئة :

ونحن نتصدى للبحث عن هذا الموضوع - موضوع حماية البيئة -نطالع ونقرأ ونسمع بين الحين والحين عن عقد مؤتمر هنا ومؤتمر هناك يتعلق بهذا الموضوع الخطير ، ومن هذه المؤتمرات ماعقد بعنوان " البلطجة وتدهور البيئة " وهو يؤكد ما سبق أن أشرنا إليه آنفا ، ونزيده تأكيداً بحديثنا فى السطور التالية ، وهو أن الإنسان هو الذى أفسد البيئة التى خلقها الله - تعالى - على هيئة الصلاح للإنسان أفسدها باتحرافه ، وتعديه ، واستهتاره ، وبلطجته ، وهناك آية كريمة تضع النقط بكل دقة على الحروف فى هذا الموضوع بإيجاز واف تماما ، لا يمكن لكاتب أو مفكر أن يصل إلى هذا المستوى ؛ لأنه كلام الحكيم الخبير ، هذه الآية هى قوله تعالى:﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (١)

وقد ذكر أحد الباحثين (٢) معقبا على هذه الآية - وهو يتحدث عن موضوع البيئة - ذكر .

أن القرآن الكريم قد تناول قضية التلوث من حيث الأسباب والنتائج فى هذه الآية الكريمة مشيراً إلى أن هذه الآية توضح تسلسل القضية على النحو التالى :

أولاً : أنها تشير إلى التدهور الذى يحدث فى المحيط الحيوى بقطاعيه اليابس والمائى .

---

(١) الروم /٤١ .

(٢) د/ عبد الفتاح القصاص - خبير شئون البيئة بالأمم المتحدة وأستاذ علم النبات بجامعة القاهرة فى ندوة بجامعة الأزهر تحت عنوان (حماية البيئة من التلوث واجب دينى) راجع ملحق الجمعة لصحيفة الأهرام يوم ١٩٩٨/٦/٥ ، ص/٢-٠ .

ثانياً : أنها – أى الآية الكريمة – توضح أن هذا التدهور قد جاء نتيجة عمل الإنسان غير الراشد الذى لم يراع قواعد التوازن البيئى .

ثالثا : توضح الآية أن هذا العمل غير الراشد سيرتد إلى الناس سلبيا ﴿ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا ﴾ أى فساد البيئة بالتلوث الذى يضر بصحتهم وفساد الموارد الطبيعية الذى ينقص من معاشهم .

رابعا : أن الآية تبين الهدف وهو " لعلهم يرجعون " بمعنى العودة إلى رشدهم ، فيصلحوا ما افسدوه ويقلعوا عن السلوك غير الراشد الذى أفسد بيئتهم .

هذا مجمل الأسباب التى أدت وتؤدى إلى فساد البيئة ، وواضح أنها تدور حول الإنسان وتتركز فيه ، فإذا أردنا إصلاحا للبيئة فيلزم أن نتجه بالخطاب للإنسان فى كل زمان ومكان لأنه – كما أسلفنا – لايختص خطاب الرسالة المحمدية لقوم معينين – وإنما تخاطب الإنسان فى كل عصر ومصر لتربيته وإصلاحه ، فإذا صلح الإنسان – قلبا وقالبا – صلحت البيئة والعكس صحيح .

بم يصلح الإنسان ؟

لا صلاح للإنسان إلا بالإسلام الدين الحق ، عقيدة وشريعة وأخلاقاً ، فإذا تمكنت العقيدة الصحيحة من الإنسان المتمثلة فى الإيمان بالله الواحد الأحد الذى يتصف بكل كمال يليق بذاته المقدسة وينزه عن كل نقص ، والإيمان بالكتب والرسل ، والقدر واليوم الآخر ، فإذا كان هذا الإيمان ، فلابد أن يستتبع سلوكا بمقتضى الشريعة ، وتخلقا بالأخلاق المنبثقة من هذا الدين"فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى"

هذه حقيقة لا يمارى فيها إلا من طبع الله على قلبه ولو كان على علم فإن علمه لا يتجاوز ظاهرا من الحياة الدنيا ، وصدق الله حين قال :﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ

هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ ﴾ (١) ، فمن طبع الله على قلبه لا يعلم أن الهدى والصلاح فيما أنزل الله تعالى - ويظن أن فيما اخترعه أو اكتشفه يوفر السعادة للإنسان بينما هو فى الواقع والتجربة - يأتى بما يجلب الشقاء ويحقق الهلاك -.

فإذا أراد الإنسان حياة بعيدة عن الضلال ، محصنة من الفساد فعليه أن يتبع هدى الله المتمثل فى كتابه الكريم وفى سنة نبيه الكريم - ﷺ- .

والمقام لا يتسع لأن نتحدث - بتفصيل - عن هذا الموضوع الذى يحتاج إلى مجلدات ومجلدات ، وحسبنا فيما نحن بصدده من الحديث عن حماية البيئة - أن نشير إشارات سريعة قد تكون معبرة - إلى منهج الإسلام فى حماية الإنسان كفرد الذى ينعكس - بالضرورة - على البيئة من حوله طبيعية واجتماعية -فنقول وبالله - تعالى - التوفيق :-

لقد عنى الإسلام بالإنسان فردا ، فوضع له ما يحقق سلامته وأمنه من كل النواحى بدنيا ، وخلقيا ، وروحيا بحيث إذا استمسك بما جاء به سلم وسلمت كل البيئات من حوله .

وإذا كان الأمر يتعلق مباشرة بالبيئة الطبيعية من أرض وماء ، وهواء .. فإننا نركز على عناية الإسلام بالإنسان مادياً أو بدنيا ، لأن سلامته مرتبطة بسلامة غيره من الناس فلا بد أن يراعى ما يلحق بغيره من أضرار ، وهنا لابد من الإشارة إلى أن البيئة الاجتماعية ، وسلامتها -كذلك- مرتبطة بسلامة البيئة من حوله ، فلابد أن يراعى هذا .

أهم آليات التربية الإسلامية لحماية بيئة الإنسان البدنية :

عنيت التربية الإسلامية بالإنسان بدنياً منذ وقت مبكر جداً ، وقبل أن يخرج إلى الحياة ولاحظت عامل الوراثة فى هذا الصدد ومدى تأثيره على النمو الجسمى ،

---

(١) الجاثية /٢٣ .

ولعلنا لا نتجاوز الحقيقة إذا قلنا : إن التربية الإسلامية فى هذا الصدد تسبق غيرها[1] من الدراسات الحديثة وينعقد لها بذلك دور الأستاذية حيث كان من البديهى أن اللاحق يأخذ من السابق .

ومن مظاهر عنايتها بعامل الوراثة ، أنها حثت على حسن الاختيار عند الزواج ، ومراعاة الكفاءة ، والصحة الجسمانية ، وغيرها إدراكا منها لتأثير العوامل الوراثية فى " النسل " واستهدافها أن يكون نسلاً سليما معافى ، والتحوط منذ البداية من التزاوج من المرضى وذوى الأجسام العليلة .

---

(١) ثبت أن تأثير الوراثة يبدأ فى الكائن الحى منذ اللحظة الأولى التى تلقح فيها بويضة الأنثى بالحيوان المنوى للذكر ، وبذلك يرث الكائن الحى عن والديه الكثير من خصائصهما وصفاتهما قوة وضعفا ، وعافية ومرضا وتكمن إمكانيات وصفات الشخص فى المورثات الصبغيات فكل موروثة من الآلات المكونة لنواة الخلية تعد مسئولة من صفة من صفات الشخص ، لذلك كان اكتساب الطفل لصفات والديه أمرا متوقعا مادامت الخلية الملحقة هى تزاوج بين صبيغيات من الأم ، وصبيغات من الأب .
راجع التربية الإسلامية فى السنة النبوية ص/٢٤٥ ، نقلا " مدخل إلى علم النفس العام ص/٣١ ، د/ أحمد فائق ، ود/ محمد عبد القادر".
هذا ويلاحظ على الأفراد تأثير الوراثة " فى الصفات الظاهرية كلون العين والشعر وسمات الوجه والطول والقصر وشكل الأجسام ، فإنهم يرثون عن والديهم - وأجدادهم وسلالتهم - نوع الدم وفصيلته والإفرازات الغدية والهرمونية ، وسلامة الغدد ، والأجهزة الداخلية ، أو مرضها ، ونحو ذلك من الصفات البيولوجية .
ومن الميسور أن نلمس فى حياتنا اليومية الأهمية البالغة لعامل الوراثة على النمو الجسمى للإنسان فعادة مايميل أبناء أصحاء الأجسام إلى مماثلة والديهم وأبناء عليل الأجسام إلى مماثلة والديهم ، وكذلك هو الحال فى طول القامة أو قصرها وغيرها من الخصائص ، وإن كان للقاعدة بعض الشواذ إلا أن الحكم بالغالب الأعم ، وهذا ما أثبتته الأبحاث والدراسات التربوية فالواقع بيّن مثلا : أنه لابد لتعيين سبب طول طفل ما لوزنه " من أخذ وراثته بعين الاعتبار ، وذلك لأن متوسط بعض العائلات فى الطول أطول من بعض العائلات الأخرى ، وقل الشئ نفسه عن الوزن.
د/ فاخر عقل : علم النفس ص/٣٠٠ .

ومما ورد فى هذا الصدد من الحث على اختيار الأكفاء صحياً وجسميا ونفسيا .. الخ مارواه ابن ماجة فى سننه عن عائشة قالت : قال رسول الله -ﷺ- " تخيروا لنطفكم وانكحوا الأكفاء وانكحوا إليهم " (١)

وفى موضع آخر أشارت السنة النبوية إلى تاثير الوراثة الأسر الذى ينبغى التحوط لتأثيراته السيئة .

فمن ذلك مارواه مسلم فى صحيحه عن عائشة -رضى الله عنها - أن امرأة قالت لرسول الله -ﷺ- : هل تغتسل المرأة إذا احتلمت ،وأبصرت الماء ؟ فقال : نعم ، فقالت عائشة : تربت يداك وألّت ، قالت فقال رسول الله -ﷺ- دعيها ، وهل يكون الشبه إلا من قبل ذلك إذا علا ماءها ماء الرجل أشبه الولد أخواله ، وإذا علا ماء الرجل ماءها أشبه أعمامه " (٢)

وبتوجيه عام ممن لاينطق عن الهوى حرصا على إخراج نسل صحيح بدنيا وعقليا لتتكون بنية إنسانية قادرة على تحمل تبعات الحياة ومشاقها ، والإسهام الفعال فى نهضتها وتطويرهلبتوجيه عام يقول -ﷺ- فيما روته عائشة -رضى الله عنها - " أنكحوا الصالحين والصالحات " (٣)

وهو توجيه موجز معجز صدر ممن أوتى جوامع الكلم تضمن توجيه المسلمين إلى توخى الصلاح بمعناه الواسع ، فهو بذلك لا يترك شاردة ولا واردة فى مجال الصلاح والإصلاح ومفهومه ومعناه .

عامل التغذية وأثره فى إصلاح البيئة الإنسانية الجسدية :

تعتبر التغذية من أهم العوامل المؤثرة فى النمو ، كماً وكيفاً ، فإذا كانت جيدة ساعدت ، على نمو الجسم نموًا سليماً ، من أجل هذا عنيت التربية الإسلامية -

---

(١) ابن ماجة ٦٣٣/١- نشر دار احياء الكتب العربية مصر .

(٢) مسلم ٢٢٥/٣- ط : الريان بمصر - ، والبخارى بنحوه ٢٧٦/١ .

(٣) الدرامى ١٣٧/٢ - ط: دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان - .

ممثلة فى كتاب الله وسنة رسوله -ﷺ- القولية والعملية بمسألة التغذية.ونوجز القول فى هذا الصدد على النحو التالى :

- التوجيه العام لتناول الطيبات التى تتمثل فى الحلال :

قال تعالى : ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (١)

كل أنواع الغذاء الحلال مفيدة للبدن إذا لم يكن ثَمّ إسراف ولا تبذير :

يقول سبحانه : ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ (٢) ومن ثم رأينا رسول الله -ﷺ- : لم يعب طعاما قط إن اشتهاه أكله وإن كرهه تركه " (٣) بل رأيناه -ﷺ- وفى هذا إيحاءات (٤) تربوية نبوية بالتوجيه إلى الغذاء المفيد من الناحية النوعية وهو ما أكدته الأبحاث العلمية الحديثة - رأيناه يتناول من أنواع الطعام الحلال ما يمكن ان يتوفر منه حيوانيا كان أم نباتيا ، وهاك ما يدل على ذلك - على سبيل المثال لا الحصر - ما أثر عنه -ﷺ- .

فمن ذلك أنه -ﷺ- نوّع فى تناول اللحوم بين المطهى والمشوى وأكل لحم الدجاج والضأن والماعز ، مما يدل على حرصه على تناول ما يسهل هضمه وقد دلت على ذلك السنة الصحيحة . (٥)

---

(١) الأعراف /٣٢ .

(٢) الأعراف /٣١ .

(٣) البخارى ٩٦/٧ .

(٤) راجع : أسس التربية الإسلامية فى السنة النبوية ص/٢٥٢ ، وما بعدها - مرجع سابق

(٥) انظر ما ورد فى هذا الصدد فى سنن الترمذى ٢٠/٨-٢١ ، والبخارى ٩٨/٧ .

كما حرص - كذلك -ﷺ- على تناول " اللبن " لفائدته الصحية الكبيرة باحتوائه على عناصر البروتين الضرورية للبدن ، وأكد قيمته الغذائية وهو ما أثبته الطب الحديث .

عن ابن عباس قال دخلت مع رسول الله -ﷺ- أنا وخالد بن الوليد على بنت الحارث فجئ بإناء من لبن فشرب رسول الله -ﷺ- وقال -ﷺ- : " من أطعمه الله طعاما فليقل : اللهم بارك لنا فيه وأطعمنا خيرا منه ، ومن سقاه الله لبنا فليقل ، اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه ، فإنه ليس من شئ يجزى من الطعام والشراب غير اللبن " [١] .

ومن إيحاءات السنة النبوية المطهرة المتعلقة بالغذاء - أيضاً ، توجيهها إلى تناول أنواع الغذاء التى تحتوى على المواد الكربوهيدراتية ، والدهنية التى تتوفر بكثرة فى السكريات و النشويات التى يستخدمها البدن ما يحتاج إليه من دفء وطاقة[٢] .

ومن إيحاءات السنة النبوية كذلك - توجيهها إلى تناول الأطعمة الغنية بالأملاح المعدنية والفيتامينات المتوفرة بكثرة فى الأغذية النباتية كالخضروات ،

---

[١] الطبقات الكبرى لابن سعد ٣٩٧/١ .

[٢] من ذلك أنه -ﷺ- كما روى البخارى عن عائشة -رضى الله عنها - كان يحب الحلواء والعسل ، وكان يأكل التمر كمادة سكرية تحتوى على بعض العناصر الأخرى ، ويروى البخارى أيضاً - بسنده عن عامر بن سعد عن أبيه قال : قال رسول الله -ﷺ- : من تصبح كل يوم بسبع تمرات عجوة لم يضره فى ذلك اليوم سم ولا سحر ، ومن ذلك - أيضاً-أنه أكل السويق والشعير وهو مادة نشوية ، فعن سويد بن النعمان قال : خرجنا مع رسول الله -ﷺ- إلى خيبر فلما كنا بالصهباء دعا بطعام فما أتى إلا بسويق فأكل فقام إلى الصلاة فتمضمض ومضمضنا ،- رواه البخارى - وعن أنس - كما يروى البخارى - أن خياطا دعا النبى ﷺ لطعام صنعه ، فذهبت مع النبى -ﷺ- فقرب خبز شعير ، ومرقا فيه دبّاء ، وقديد ، رأيت النبى -ﷺ- يتتبع الدباء من حوالى القصعة فلم أزل أحب الدباء بعد يومئذ

والفواكه ، وذلك لضرورتها فى تكوين العظام وعملية الهضم وصحة البدن ومقاومته للأمراض [١] .

هذا وإذا كانت السنة النبوية المطهرة عنيت بنوعية الغذاء ، فإنها عنيت بكميته فلاحظت الاعتدال ، لأن فى القلة وفى الكثرة ضررا ، فمن ذلك ماروواه الترمذى فى سننه عن مقداد بن معدى كرب قال : سمعت رسول الله -ﷺ- يقول ، ما ملأ آدمى وعاء شرا من بطنه بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه ، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه " [٢] .

بل إن الإفراط فى الأكل يتفاقم خطره إلى الحد الذى يجعله علامة على ضعف الدين بل أكاد أقول : ذهابه ، فعن أبى هريرة -ﷺ- قال : قال رسول الله -ﷺ-" يأكل المسلم فى معى واحد ، والكافر يأكل فى سبعة امعاء " [٣]

وقد أحسن بعض [٤] الباحثين فى تعليقه على هذا الحديث وغيره وهو يتحدث عن هذا الموضوع قال : صدق رسول الله -ﷺ- فيما حدد من ميزان معتدل قويم لتناول الطعام ونعم التوجيه الغذائى الصحى الهادف الذى أرشدنا إليه ، فقد أثبتت التجارب الطبية والعلمية الحديثة ما أرشد إليه رسول الله - ﷺ- مؤكدة أن زيادة الطعام عما يحتاجه البدن تربك جهازه الهضمى ، وتحول دون امتصاصه الجيد من الطعام ما يحتاجه من عناصر الطاقة والقوة اللازمة ، وتسبب للبدن التخمة والسمنة المفرطة ، فتصيبه أمراض عديدة غير متوقعة وقد تورده موارد الهلاك ، أو

---

[١] فمن ذلك مايرويه البخارى عن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب -رضى الله عنهما - رايت النبى -ﷺ- : يأكل الرطب بالقثاء " والقثاء من الخضروات وأكل البطيخ والرطب كما روت السيدة عائشة -رضى الله عنها - وهما من الفواكه وأن كان البطيخ من الخضروات لكن شاع على ألسنة الناس أنه من الفواكه - والرواية للبخارى وأكل الدباء - كما أشرت آنفا - وهى من الخضروات .

[٢] البخارى ٩٣/٧

[٣] مسلم ٢٥،٢٤/١٤ ، وينظر البخارى ٤٤٧/٩ .

[٤] د/ عبد الحميد الصيد الزنتانى فى كتابه أسس التربية الإسلامية فى السنة النبوية ص/٢٥٦ :٢٥٧ .

تنغص عليه راحته وحياته قال تعالى : " وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين"[١] .

النظافة الشخصية من آليات التربية الإسلامية لحماية البيئة الإنسانية :

عنيت التربية الإسلامية بالنظافة الشخصية للإنسان كوسيلة من وسائل حماية بيئة الإنسان البدنية من مختلف العلل والأمراض التي تنجم عن القذارة والأوساخ ، ومن مظاهر هذه العناية أنها .

أولاً : بدأت بتأكيد الالتزام بالطهارة " في البدن والثياب ونحوها ، وجعلتها شرطا لازما لصحة الصلاة التي هي عماد الدين وعلامة المسلمين ، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [٢]

وعن ابن عمر -رضي الله عنهما - قال : سمعت رسول الله -ﷺ- يقول " لاتقبل صلاة بغير طهور ، ولاصدقة من غلول " [٣]

وجعل رسول الله -ﷺ- الطهور شطر الإيمان في حديثه الصحيح الذي يقول فيه الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان [٤]

ثانياً : حددت السنة النبوية المطهرة خصال الفطرة الحميدة التي تعتبر أهم ركائز النظافة الشخصية ، فعن زكريا بن أبي زائدة عن مصعب بن شيبة عن طلق بن حبيب عن عبد الله بن الزبير عن عائشة قالت : قال رسول الله -ﷺ- " عشر من الفطرة ، قص الشارب ، وإعفاء اللحية ، والسواك ، واستنشاق

---

[١] الأعراف /٣١

[٢] البقرة /٢٢٢ .

[٣] صحيح مسلم ١/١٤٠ .

[٤] نفسه .

الماء ، وقص الأظافر ، وغسل البراجم ، ونتف الإبط ، وحلق العانة ، وانتقاص الماء ، قال مصعب : ونسيت العاشرة إلا أن تكون المضمضة "[١]

قال أنس -رضي الله عنه- وقت لنا فى قص الشارب ، وتقليم الأظافر ، ونتف الإبط ، وحلق العانة أن لا نترك أكثر من أربعين ليلة " [٢]

ثالثاً : رسخت التربية الإسلامية النظافة كقاعدة للمسلم فى حياته اليومية بحرص رسول الله -ﷺ- متطيا بذلك الأسوة الحسنة على استعمال السواك حين يقوم من الليل ، وحين يدخل البيت .

فمن ذلك ماورواه الإمام مسلم -رحمه الله - فى صحيحه بسنده عن حذيفة -رضي الله عنه- أن رسول الله -ﷺ- كان إذا قام من الليل يشوص فاه بالسواك " [٣]

وترسيخا لهذا المبدأ -مبدأ النظافة الشخصية - من الرسول -ﷺ- بالنسبة للمؤمنين حثه لهم على أن يلتزموا بالسواك ما قدروا على ذلك لدرجة أنه أوشك على أمرهم به عند كل صلاة - أى خمس مرات - لولا المشقة عليهم .

عن أبى هريرة -رضي الله عنه- عن النبى -ﷺ- قال : " لولا أن أشق على المؤمنين لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة " [٤]

رابعاً : حرصت التربية الإسلامية - من خلال السنة النبوية المطهرة - على ضرورة التوجيه إلى ضرورة العناية بنظافة البدن ككل ، ونظافة أجزائه كل على حدة ، وخاصة تلك الأجزاء التى تتعرض للعدوى وقد تنقل الأمراض إلى البدن .

فبالنسبة لنظافة البدن ألزمت السنة النبوية [٥] كل " محدث " بالطهارة وجعلتها شرطا أساسيا لصحة الصلاة .

---

(١) صحيح مسلم ١/١٥٣ : ١٥٤ .
(٢) صحيح مسلم ١/١٤٠ .
(٣) نفسه ١/١٥٢ .
(٤) نفسه ١/١٥١ .
(٥) التربية الإسلامية - مرجع سابق -ص/٢٦ وما بعدها .

عن أبى هريرة -ﷺ-قال : قال رسول اله -ﷺ- : لاتقبل صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ "[١]

وألزمت السنة النبوية كل شخص بالغ بالغسل يوم الجمعة وبذلك حددت له اسبوعا واحدا كحد أقصى لا يتعداه لتطهير بدنه وتنظيفه

عن أبى سعيد الخدرى أن رسوله الله -ﷺ- قال : " الغسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم " [٢]

وأوضح رسول الله -ﷺ- ضرورة أن يشمل الغسل تنظيف الرأس والجسد وجعل ذلك من حق الله -تعالى -على كل مسلم زيادة فى تأكيد نظافة البدن الذاتية .

عن أبى هريرة -ﷺ- عن النبى -ﷺ-قال " حق لله على كل مسلم أن يغتسل فى كل سبعة ، يغسل رأسه وجسده "[٣]

أما بالنسبة لأجزاء البدن فقد حرصت السنة النبوية على تنظيفها فأشارت إلى ضرورة غسل اليدين [٤] ، والتركيز على أن يكون الغسل ثلاث مرات والاهتمام باليد اليمنى [٥] ، والنهى عن استعمالها فى الاستنجاء ، لأنها تستخدم فى تناول الغذاء .

---

[١] مسلم ١٤٠-١٤١ .

[٢] مسلم ٣/٣ .

[٣] مسلم ٤/٣ . . .

[٤] عن أبى هريرة -ﷺ- أن النبى -ﷺ-قال " إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يغمس يده فى الإناء حتى يغسلها ثلاث فإنه لايدرى أين باتت يده " رواه مسلم - مرجع سابق .

[٥] عن عبد الله ابن أبى قتادة عن أبيه قال : قال رسول الله -ﷺ- " لايمسكن أحدكم ذكره بيمينه وهو يبول - ولا يتمسح من الخلاء بيمينه - ولا يتنفس فى الإناء " رواه مسلم .

وأمرت السنة بتنظيف الفم [١] ، لإزالة فضلات الطعام حتى لا تفسد صحة الأسنان الأمر الذى يضر بالصحة العامة ، ونظرا لما هو معروف عن خطورة الأمراض التى تلحق بالفم بسبب إهمال نظافته نظرا لذلك وجدنا رسول الله -ﷺ- يمضمض فمه عقب الطعام ويستعمل السواك -دائماً- كما سبق أن ذكرنا آنفا .

كما حرصت السنة النبوية من خلال عمل الرسول -ﷺ- وقوله [٢] على نظافة " الأنف " لكونه العضو الرئيسى الذى يتنفس منه الإنسان ، وهو الذى يقوم بتنقية الهواء وتصفيته ، وقد تلتصق به بعض الأوساخ أو الجراثيم العالقة بالهواء فتؤذيه ، وتؤذى البدن إذ لم يطهر بصورة منتظمة وجيدة ومن ثم ورد الحديث أمرا بالاستنثار الذى يفيد المبالغة فى التنظيف ، فضلا عن إلزام السنة المسلم بالاستنشاق والاستنثار فى الوضوء خمس مرات يوميا .

كما ألزم رسول الله -ﷺ- المؤمنين بحسن تنظيف وجوههم لاشتمال الوجه على العينين والفم والأنف والأذنين وهى أهم الأعضاء فضلا عن أن حسن المظهر يقتضى نظافة الوجه وتطهيره ؛ لأنه أشرف أجزاء الجسم .

عن أبى هريرة -رضى الله عنه- قال : قال رسول الله-ﷺ- " أنتم الغر المحجلون يوم القيامة من إسباغ الوضوء فمن استطاع منكم فليطل غرته وتحجيله "[٣]

كذلك أمر رسول الله -ﷺ- أتباعه بغسل أيديهم إلى المرافق ومسح رؤسهم وغسل أرجلهم لكونها من أكثر الأعضاء تعرضا للاتساخ فهى وسيلة الإنسان للتنقل أثناء نشاطه المختلف .

---

(١) عن ابن عباس -رضى الله عنهما -أن رسول الله -ﷺ- شرب لبنا فمضمض وقال "إن له دسما " رواه البخارى ١٤١/٧ .

(٢) عن أبى هريرة -رضى الله عنه- أن النبى -ﷺ- قال : إذا استيقظ أحدكم من منامه فليستنثر ثلاث مرات فإن الشيطان يبيت على خياشيمه ؛ رواه مسلم ١٥٦/١ ، ١٥٧ .

(٣) مسلم ١٤٩/١ .

عن حمران مولى عثمان أنه رأى عثمان دعا بإناء فأفرغ على كفيه ثلاث مرات فغسلهما ، ثم أدخل يمينه فى الإناء فمضمض ، واستنثر ، ثم غسل وجهه ثلاث مرات ، ويديه إلى المرفقين ثلاث مرات ، ثم مسح برأسه ، ثم غسل رجليه ثلاث مرات ، ثم قال : قال رسول الله -ﷺ- من توضأ نحو وضوئى هذا ، ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه غفر له ما تقدم من ذنبه " (١)

وأكد النبى -ﷺ- على الالتزام التام بالنظافة الكاملة والطهارة التامة حتى تصبح عادة مألوفة لدى المرء يؤديها على نحو تلقائى فى حياته اليومية .

عن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- أن رجلاً توضأ فترك موضع ظفر على قدمه فأبصره النبى -ﷺ- فقال " أرجع فأحسن وضوءك فرجع ثم صلى " (٢)

رابعاً : ترسيخاً لمبدأ النظافة والطهارة بالإضافة إلى ما أسلفنا - فى النفوس رغب رسول الله -ﷺ- فى إتقان الوضوء مشيراً إلى أنه وسيلة لغفران الخطايا والذنوب فيقول -ﷺ- (رواية عن أبى هريرة) إذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينيه مع الماء أو مع أخر قطر من الماء فإذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة كان بطشتها يداه مع الماء أو مع آخر قطر الماء ، فإذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء أو مع آخر قطر الماء حتى يخرج نقيا من الذنوب " (٣)

خامساً : لم تغفل السنة النبوية (٤) من خلال إرشاد الرسول -ﷺ- المسلمين إلى ضرورة تنظيف وتطهير أعضائهم التناسلية لوقايتها من القذارة التى قد تلحق بها العلل والأمراض ، وتضر بصحة الإنسان كلها .

---

(١) مسلم ١٤١/١ .

(٢) رواه مسلم ١٤٨/١.

(٣) نفسه ١٤٨/١: ١٤٩ .

(٤) التربية الإسلامية فى السنة النبوية - مرجع سابق .

فعن عبد الرحمن بن يزيد عن سليمان قال : قيل له : قد علمكم نبيكم – ﷺ– كل شئ حتى الخراءة قال ، فقال : أجل لقد نهانا أن نستقبل القبلة لغائط أو بول، أو نستنجى باليمين أو أن نستنجى بأقل من ثلاثة أحجار ، أو نستنجى برجيع[١] أو عظم .

سادساً : واهتماماً بنظافة بدن المرأة المسلمة فيما يتعلق بخصوصياتها أفردت التربية الإسلامية إرشادات – من خلال السنة – تتعلق باغتسال المرأة من الحيض لما فيه من أذى هذا فضلا عن اشتراكها مع الرجل فى التوجيهات ذات الصبغة العامة

فعن عائشة [٢] –رضى الله عنها – أن امرأة سألت النبى –ﷺ– عن الحيض كيف تغتسل منه فقال : ' تأخذين فرصة ممسّكة فتتوضئين بها إلى أن قالت :كيف أتوضأ بها يارسول الله ؟ قال النبى –ﷺ– توضئين بها قالت عائشة فعرفت الذى يريده رسول الله ﷺ فجذبتها فعلمتها .

سابعاً : اهتمت السنة النبوية بالتوجيه إلى تنظيف شعر الرأس لما فى تنظيفه من وقاية له من الحشرات والأمراض ، ولما فيه من جمال وحسن مظهر .

عن يحيى بن سعيد أن أبا قتادة الأنصارى قال : لرسول الله –ﷺ– إن لى جمة أفأرجلها ؟ فقال –ﷺ– نعم وأكرمها [٣] .

ثامناً : ولم يقف الأمر عند حد الاهتمام بالبدن وأجزائه نظافة وتطهيراً بل اهتمت التربية الإسلامية بحسن المظهر والذوق الجمالى فدعت –من خلال السنة – إلى الاهتمام بالثياب نظافة وشكلا ونوعا ، بالإضافة إلى ما للثياب من أثر فى حماية الجسد ووقايته وملاءمته لمختلف فصول السنة حرا أو بردا .

---

[١] الرجع : الروث أو البعر .

[٢] البخارى ٩/٣٤ :١٣٥– دار مطابع الشعب . مصر

[٣] مالك – الموطأ ٦٧٦– دار النفائس – بيروت .

عن عبد الله بن مسعود عن النبى -ﷺ- قال " لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر ، قال رجل : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا ،قال : إن الله جميل يحب الجمال ، الكبر بطر الحق ، وغمط الناس "[١]

ويوجه من لا يتيسر له الثوب الجديد أن يعنى بتنظيف ثوبه القديم بصورة منتظمة حتى لاتتكدس عليها الأوساخ والقذارة فتؤذيه .

عن عائشة -رضى الله عنها - أنها قالت : كان الناس ينتابون الجمعة من منازلهم من العوالى فيأتون فى العباء ويصيبهم الغبار ، فتخرج منهم الريح فأتى رسول الله -ﷺ- إنسان منهم وهو عندى فقال :-ﷺ- :" لو أنكم تطهرتم ليومكم هذا " [٢]

ولقد ضرب رسول الله -ﷺ- لنا المثل الأعلى فى حسن العناية بالمظهر ونظافة الثياب وانتقائها ، فقد روى البخارى فى صحيحه بسنده عن البراء يقول : ما رايت أحدا أحسن فى حلة حمراء من النبى -ﷺ-[٣]

ونهى رسول الله -ﷺ- عن سوء الهيئة أى سوء المظهر بثياب متسخة أو مهلهلة وجعل حسن المظهر من موجبات التمتع بنعم الله - عز وجل -.

عن أبى الأحوص عن أبيه قال : دخلت على رسول الله -ﷺ- فرآنى سيئ الهيئة فقال النبى -ﷺ- هل لك من شئ ؟ قال : نعم من كل المال قد أتانى الله . فقال : إذا كان لك مال فلير عليك " [٤]

و لم يكتف بما يسر الناظرين من المظهر الحسن ونظافة الثياب وأناقتها بل ضم إليها ما يمتع الأنف بالرائحة الطيبة الزكية لتكتمل راحة النفس وتغدو موضع

---

[١] مسلم ١/٦٥.

[٢] مسلم ٣/٣ .

[٣] البخارى ٧/٢٠٧

[٤] النسائى ٨/١٩٦ .

قبول عند الناس . عن عائشة قالت : كنت أطيب النبى -ﷺ- بأطيب ما يجد حتى أجد وبيص الطيب فى رأسه ولحيته " [١]

وتحقيقا لهذا الأمر- التطيب - فإنه -ﷺ- يوصى بالحث على استخدام كل أنواع الروائح العطرية التى يمكن توفرها - فقد روى النسائى فى سننه عن محمد بن على قال سألت عائشة -رضى الله عنها - أكان رسول الله -ﷺ- يتطيب قالت نعم ، بذكارة الطيب المسك والعنبر "[٢]

ومبالغة فى العناية بالتطيب حث رسول الله -ﷺ- على حمل الطيب - وهو من الروائح العطرة - واستعمالها عند الحاجة ، فقد روى النسائى -أيضاً -عن أبى هريرة -رضي الله عنه- عن رسول الله-ﷺ- قال : من عرض عليه طيب فلا يرده فإنه خفيف المحمل طيب الرائحة " [٣]

هذه سياحة مع التربية الإسلامية وآلياتها لتحقيق سلامة الإنسان والمحافظة على بيئته البدنية نختمها بهذا القول الذى يعتبر من جوامع كلمة -ﷺ- " الطهور شطر الإيمان "[٤]

وهو قول ذو [٥] بعد طبى وصحى عظيم ، يحث المسلمين عامة على أن يحرصوا على طهارة أبدانهم وأعضائهم المختلفة ، ونظافة ثيابهم ومساكنهم وأدواتهم التى يستعملونها فى مختلف شئونهم - وتحفيزا لهم على القيام بذلك بصورة مستمرة فى حياتهم اليومية إذا ما أرادوا استكمال (إيمانهم) الذى هو تصديق وعمل ، ويقين وسلوك، وعقيدة وتطبيق ، ولعل المسلم وهو يربى على هذا المستوى من العناية بصحته ونظافته الشخصية لتكون هذه العناية ديناً يثاب على تمسكه به ، ويعاقب إذا أهمله .

---

[١] البخارى ٧/٢١٠ .

[٢] النسائى ٨/١٥٠: ١٥١.

[٣] النسائى ٨/١٨٩ .

[٤] مسلم ١/١٤٠ .

[٥] راجع بتصرف " أسس التربية الإسلامية " فى السنة النبوية /٢٦٧- مرجع سابق .

أقول لعل المسلم وهو يربى على هذا يعنى بالبيئة الخارجية الطبيعية فيتعامل معها بما يحقق سلامتها ، ويحافظ عليها ؛ لأن هذا سينعكس عليه ويحسه سلبا أو إيجابا ، بمعنى أنه إذا حافظ على البيئة أنتج هذا سلامة جسمه ونفسه والعكس صحيح ، ومن ثم فإننا سنتحدث عن هذا الموضوع موضوع المحافظة على البيئة الخارجية – من هذا المنطلق .

من آليات التربية الإسلامية
فى المحافظة على البيئة الطبيعية أو الخارجية

تمهيد :

البيئة الطبيعية من أرض وماء وهواء وما على الأرض من حيوان وأشجار – هذه البيئة – كما أسلفنا – مخلوقة من أجل الإنسان ، فقد خلق الله -تعالى- للإنسان قبل أن يخلقه خلق له ليحقق الضرورات ، والحاجيات ، والكماليات ، أو التحسينات ، وبكل ذلك يتم تكريمه الذى أراده الله له فى قوله جل وعلا ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (١)

وإذا كان ذلك كذلك فإنه يمكن القول بأن العناية بالبيئة الطبيعية والاهتمام بنظافتها والمحافظة عليها ليس هدفا فى حد ذاته وإنما هو وسيلة إلى المحافظة على البيئة الإنسانية وسبيل إلى حمايتها حيث كانت مخلوقة من أجل الإنسان لتحقيق استقراره وسلامته ، وسعادته ، وتكريمه على النحو الذى أسلفنا .

وكما أشرنا -أيضا- فإنه بناء على ذلك يكون الحديث عن حماية البيئة الطبيعية ونظافتها والمحافظة عليها هو الحديث عن البيئة الإنسانية ، وهو الأمر الذى ينبغى ان يعيه كل متحدث عن البيئة ، وأن ينبه عليه كل معنى بشئونها ليعلم الإنسان أن عندما يحافظ على البيئة ويحميها ، فإنه بذلك يحافظ على نفسه ويحميها ، وعندما يهمل ذلك ، أو يعتدى عليها فكأنه يعتدى على نفسه ويضيعها .

---

(١) الإسراء / ٧٠ .

وقد أكد هذا المعنى أحد الباحثين [1] قائلاً :

ولايخفى أن للبيئة أثرا كبيراً على نمو الأفراد الذين يعيشون فى محيطها صحة ومرضا ، فإذا كان محيطها نظيفا نقيا ساعد على النمو الجسمى السليم ، وإذا كان مليئا بالأوساخ والقذارة كان مصدرا للأمراض والعلل التى تضر بالصحة أو تعرقل النمو الجسمى وتصيبه بالعاهات والنقائص .

ومن مظاهر قذارة البيئة تلوث المياه ، وأمراض الحيوانات ، وأمراض النباتات وكثرة القمامة والقذارة والأوساخ فى المساكن والمرافق العامة ، والمحيط البيئى ، وما إليها من مظاهر عدم النظافة ، ويقاس معدل نظافة البيئة بمدى اختفاء المظاهر السيئة المذكورة ، والاهتمام بإزالتها والتحوط منها لخطورتها على الصحة العامة لكافة أفرد المجتمع .

هذا وقد أولت التربية الإسلامية الاهتمام البالغ بالبيئة الطبيعية نظافة ومحافظة بمقدار الاهتمام بالإنسان حيث كانت – كما ذكرنا – مخلوقة لأجله وتنعكس عليه صحة أو مرضا ، تقدما أو تأخرا ، قوة أو ضعفا ، وسنسوق بعون الله – تعالى – جملة من التوجيهات أو الآليات التى –إذا اتبعت حوت البيئة النظيفة السليمة ، الأمر الذى يتبعه بيئة إنسانية صحية سليمة من أسباب المرضى والعدوى .

---

[1] أسس التربية الإسلامية /٢٦٨ وما بعدها – مرجع سابق .

ثانياً : شدد رسول الله -ﷺ- فى النهى عن التغوط فى الطريق أو أماكن الظل وما إليها من الأماكن العامة [١] التى يؤمها الناس ، حماية لهم من انتقال العدوى وتوقيا لانتشار الأمراض بينهم .

فعن أبى هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله-ﷺ- قال : " اتقوا اللعانين قالوا ، وما اللعانان يا رسول الله ؟ قال : الذى يتخلى فى طريق الناس أو فى ظلهم " [٢]

وإذا كان الحديث السابق قد نص على " اللعانين " كنموذج ومثل للأذى فإن هناك حديثا أخر أشمل وأعم بحيث يشمل كل ما يسبب الأذى فى الطريق العام ، وكل ما عرف الإنسان أنه أذى وكل ما يثبت بعد ذلك أنه أذى [٣] فعليه أن يميطه ويبعده ويقاومة ، وبقدر ما يبذل من جهد لإماطته ومقاومته تكون درجة إيمانه ، ويكون آثما ضعيف الإيمان إذا أهمل ولم يقاوم ولم يعمل على إماطة هذا الأذى ودفع هذا الفساد الذى يلوث الطريق أو الهواء الذى يتبع الطريق .

وهذا الحديث هو قوله -ﷺ-:" الإيمان بضع وستون أو سبعون شعبة أعلاها لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان"[٤]

هذا ما يتعلق بالطريق أو الأرض وجوها أو هوائها ، فإذا جئنا إلى الماء ، فإننا نرى أهميته القصوى فى أنه جعل الله منه الحياة حين قال عز شأنه :﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾[٥] ومن ثم وجبت المحافظة عليه محافظتنا على الحياة ، فلا ينبغى أن نسرف فى استعماله والآية صريحة فى ذلك :﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ

---

[١] الأماكن العامة مثل : الحدائق ، والمنتزهات ، والنوادى ، ومحطات السكك الحديدية ، وصالات السفر ، والشواطئ .. الخ .

[٢] مسلم ١٥٦/١ .

[٣] كل ما يثبت أنه أذى مثل التدخين الذى يثبت ضرره قطعا بعد أن كان يغيب عن الناس أنه كذلك .

[٤] مسلم ٦/٢ . ط: الريان للتراث والبخارى بنحوه ٦٧/١ .

[٥] الأنبياء /٣٠ .

لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾[١] وفى الحديث أن النبى -ﷺ- نهى [٢] عن السرف فى الماء حين رأى رجلاً يتوضاء ويسرف فى الماء ، فقال -ﷺ- : ماهذا السرف ؟ فقال الرجل : أفى الوضوء سرف ، فقال -ﷺ- : نعم ، وإن كنت على نهر جار " .

وإذا وجب للمحافظة عليه عدم الإسراف ؛ فإنه من باب أولى ينبغى أن يحفظ من التلوث سواء كان تلوث الأفراد أو الهيئات أو المصانع .. أو ما إلى ذلك .

ولذا كان رسول الله -ﷺ- ينهى عن تلويث المياه ببول أو غائط أو غيرها من عوامل القذارة والأوساخ المؤذية للصحة والناشرة للأمراض -شرب أو اغتسال كان ينهى عن ذلك من نحو مارواه الإمام مسلم بسنده عن جابر أن رسول الله -ﷺ- نهى عن أن يبال فى الماء الراكد ، ومن نحو مارواه أبو هريرة -رضي الله عنه- عن النبى -ﷺ- قال : لا يبولن أحدكم فى الماء الراكد ثم يغسل منه . [٣]

أما فيما يتعلق بالأدوات والأوانى والمعدات التى تستعمل فى حياة الناس ، وخاصة أدوات الطعام يقول -ﷺ- : " طهور إناء أحدكم إذا ولغ فيه الكلب أن يغسله سبع مرات أولهن بالتراب " [٤]

والعدد لا مفهوم له كما يقول العلماء - بمعنى أن العدد ليس مقصودا لذاته وإنما يمكن أن يكون أكثر أو أقل ، فالمراد أن يتم التنظيف للإناء حتى لايعلق به تلوث يسبب مرض سعار الكلاب وهو مرض فتاك .

هذا ولا يفوتنا أن نشير-ولو إشارة سريعة -قبل أن ننتهى من هذه النقطة إلى أن التلوث البيئى الذى يقاومه الإسلام للحفاظ على بيئة الإنسان - لا يقتصر على ماقدمنا من تلوث الهواء أو الماء .. أو ما إلى ذلك ، وإنما يتسع الأمر - فى إطار - لا ضرر ولا ضرار -إلى أن يقاوم الإسلام تلوث السمع فينهى عن رفع الصوت ،

---

[١] الأعراف /٣١ .

[٢] رواه ابن ماجه .

[٣] مسلم ١٦٢/١ .

[٤] مسلم ١٨٣/٣ ، ط: الريان للتراث وسنن أبى داود بنحوه ١٨/١ ، ط٢: الريان للتراث .

ويأمر بغضه ، ويأتى ذلك واضحا فى قوله تعالى - على لسان لقمان وهو يوصى ابنه ويعظه- ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ (١) .

وكأنى بالقرآن الكريم عندما يحث على كل ما يسر النظر ويريح البصر فى قوله تعالى : ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ (٢) ، كأنى بالقرآن عندئذ يقاوم كل مايؤذى البصر وهو ما يطلق عليه التلوث البصرى " ، فيريد أن يكون كل ما يقع عليه البصر جميلا ، وفى الحديث " إن الله جميل يحب الجمال " (٣)

بعض الأمثلة التى تتعلق بالقواعد الشرعية التى تنضبط بها البيئة الإنسانية والطبيعية وسأكتفى بمثالين فقط لبيان مدى عناية الشريعة الإسلامية بوضح القواعد التى تحقق سلامة البيئة الإنسانية وسلامة البيئة الطبيعية .

وهذان المثالان عبارة عن بعض القواعد الشرعية التى تنضبط بها الحياة الإنسانية فتسلم البيئة الطبيعية والبيئة الإنسانية .

المثال الأول : يتمثل فى هذه القاعدة الشرعية : لاضرر ولا ضرار

ومعناها أنه لايصح بل يحرم أن يضر الإنسان نفسه ، ويضر غيره ، وهذا باب واسع لا يتسع المجال أن نتحدث فيه بتفصيل ، بل يحتاج إلى أبحاث وأبحاث ، ويكفى أن نذكر ما يتفرع أو ينشأ عن مخالفة هذه القاعدة من ضرر بالإنسان نفسه ، وإضرار بغيره مما يحدثه فى البيئة البدنية والطبيعية من تلوث ونذكر - كمثال - هذه العادة القبيحة التى شاعت فى مجتمعنا وأصبح لها سلطان على نفوس الناس لا أقول العوام أو الأميين فقط بل والخواص والمتعلمين الذين هم أعلم الناس (٤)

---

(١) لقمان /١٩ .

(٢) الأعراف /٣١ .

(٣) مسلم ١/٦٥ .

(٤) يلاحظ أن بعض الأطباء وعلماء الدين والتربية تسيطر عليهم عادة التدخين ، فضلا عن أن هذه العادة السيئة المبتلى بها تتحكم فيه ، فإنه يجاهر بها ، مع أنه قدوة لغيره ، ولا يأخذ بالمثل القائل " إذا ابتليتم فاستتروا " .

بمدى خطر هذه العادة القبيحة ، ولعل القارئ الكريم فهم من محتوى الكلام فأدرك ماهى هذه العادة القبيحة ؟ وأبادر فأؤكد ما أدركه وأقول إنها عادة " التدخين " ولو أن الناس أخذوا بهذه القاعدة الشرعية " لاضرر ولا ضرار " لسلمت نفوسهم وأبدانهم ، لأنهم يتوقون الضرر الذى ينشأ لهم ، ولسلمت نفوس الآخرين غير المدخنين الذين يضرونهم بالتدخين السلبى الذى يكره عليه من يستنشق هذا الدخان سواء من يجاوره من الأهل والأولاد والزوجة تحت سقف واحد فى المنزل ، أو من يجاوره فى العمل من الزملاء تحت سقف واحد ، أو من يجاوره من المسافرين تحت سقف واحد فى القطار ، أو السيارة ، أو الطائرة ، أو من يجاوره فى الشارع أو لا يجاوره ، إنما يعود عليه بطريقة غير مباشرة حيث يتلوث الهواء شيئا فشيئا بمرور الزمن ويصبح فاسدا بل انه أعنى الهواء – غدا كذلك بهذا العامل – عامل التدخين والدخان الذى يخرج من هنا وهناك يملأ طبقات الجو حتى غدا الأمر خطير – أقول : لو أن الناس أخذوا بهذه القاعدة لسلمت لهم حياتهم وبيئتهم ، واتقو كثيرا من المشاكل الصحية وتوفر الكثير من المبالغ الطائلة التى تنفق لعلاج هذه المشاكل والوقت الذى يهدر من جراء هذه المشاكل .

المثال الثانى : يرتبط بهذه القاعدة الشرعية " درء المفاسد مقدم على جلب المصالح " :

وبتطبيق هذه القاعدة – ايضاً– نتجنب الكثير والكثير من ما ينشأ عنه من تلوث البيئة ، ويتضح مفهومها بهذا المثال الذى سمعته من إمام الدعاة فى هذا العصر الإمام الشيخ الشعراوى – طيب الله ثراه ورحمه رحمة واسعة – قال موضحا هذه القاعدة بمثال يفهمه أى إنسان مهما كان مستواه الثقافى :–

لو أن إنسانا أراد أن يدفع إليك تفاحة ، وفى نفس الوقت يرميك بحجر فماذا تفعل ؟

هل تأخذ تفاحة – وهى مصلحة ومنفعة – ، وتترك الحجر ليصيبك – مع أنه ضرر ومفسدة– ، أم إنك تدفع الحجر الذى يصيبك لتدفع بذلك الضرر تاركا التفاحة التى هى مصلحة ومنفعة . لاشك أن الأولى بل الواجب يقتضى – وهو أمر

فطرى – أن تدفع الضرر الذى يصيبك بتوجيه الحجر إليك ، وتترك التفاحة حتى لا تشغل بأخذها فيصيبك الحجر .

فإذا طبقنا هذه القاعدة فى حياتنا وبيئتنا البدنية والطبيعية – خلت الحياة من الآفات وسلمت من المفاسد والملوثات ، فإذا نظرنا – على سبيل المثال لا الحصر – إلى استخدام التكنولوجيا نرى أن لها وجها طيبا نافعا ، ووجها سيئا ضارا ، وحينئذ – إذا أردنا أن تسلم البيئة ونحافظ عليها – فإن علينا أن نتقى الجانب الضار ولو أن نؤخر أو نستغنى عن المنفعة ، وتوضيحا لذلك نقول :

إن الطاقة الذرية يمكن أن تفيد البشر كثيراً فيستخدمون المفاعلات الذرية فيما يعود عليهم بالرفاهية والراحة ، والسعادة ، ولكن عندم يتحول هذا المفاعل أو ذاك إلى خطر كبير وشر مستطير فليغلق المفاعل غير المؤمن الذى يترتب عليه إهلاك الحرث والنسل وتلويث البيئة ، ولعل ما حدث فى مفاعل "تشرنوبل" فى الاتحاد السوفيتى وما نتج عنه من ضرر بالبيئة الأمر الذى أدى إلى إغلاقه خير شاهد على ما نقول .

وكذلك الحال بالنسبة لمصانع الأسمنت التى يخرج منها – إذا لم تلاحظ عوامل الأمان من الفلاتر وخلافه – كذلك الحال بالنسبة لهذه المصانع التى يخرج منها ما يضر الناس ، ويضر صدورهم ورئاتهم – وبخاصة عندما يكون بجوار المناطق السكنية كما هو الحال فى المعصرة وحلوان وغيرهم بمصر والتى كتبت عنها التحقيقات الصحفية التى استعرضت حجم الأضرارا التى تصيب الناس سكان هذه المنطقة من جراء هذه المصانع – أقول :

إن مثل هذه المصانع وإن كان ينتج منها ما ينفع الناس مادة وعمالة ، ولكن تضرهم ضرارا بالغا ، فإذا تغلبت المفسدة على المصلحة وجب درء المفسدة قبل جلب المصلحة ، ومن ثم فيجب إغلاقها فورا إذا لم يكن هناك علاج لمشاكلها ، ويمكن بذلك تطبيق قاعدة أصولية أخرى من قواعد الشريعة وهى :" دفع الضرر العام بتحمل الضرر الخاص "

هذان مثالان أو قاعدتان وغيرهما كثيرينتبين بهما مدى عناية الإسلام وتغلغله فى حياة الناس وبيئتهم ، وحرصهم على هذه الحياة والمحافظة على هذه البيئة .

وهناك قاعدة " المصالح المرسلة " التى يتحقق بها الكثير والكثير من المصالح للناس . إلى غير ذلك من القواعد والمبادئ والأصول التى اشتملت عليها الشريعة والتى تحتاج إلى بحوث وبحوث ، لإبراز محاسن الشريعة وبيان استيعاب منهج الإسلام لمصالح الناس وما يحقق أمنهم وسعادتهم وسلامتهم من الشرور والآفات ، إن فى نفوسهم ، أو فى بيئتهم .

ومسك الختام هذه الكلمة الموجزة القيمة لإمام الدعاة الشيخ الشعراوى [1] طيب الله ثراه – وهى تنطلق بمنهج الله – تعالى – الذى أنزله – متمثلاً فى الإسلام – مقصورا ومحصورا فى رسالة سيدنا محمد –ﷺ– يقول الشيخ الشعراوى رحمه الله –تعالى – وعفا عنه – مبيناً بإيجاز – خصائص هذا المنهج الذى جاءت به السماء – كما يقول :–

بعد ازدياد فساد الفرد والمجتمع ، فجاء محمد–ﷺ– وبالإسلام ، وأعطى له الضمانات التى تتطلب رسولا بعد ذلك ، وجاء بمنهج قادر على أن يقود البشرية إلى الخير ، وكان من خصائص هذا المنهج أربعة أمور :

أولاً : المفروض أن يوثق فى أنه الصادر عن الله بدون دخول للبشر فيه ولا تحريف – والدليل على ذلك بشهادة الخصوم هو أنه لم تكن هناك وسيلة لتحريف أى جزء من القرآن أو تبديله ولو بوازع الحماس وهو كتاب الله دون منازع .

ثانياً : أن يكون المنهج مستوعبا لكل قضايا الحياة فما دام دين الإسلام دينا شاملا خالدا مستوعبا للزمان مستوعبا للمكان ، إذن لابد أن يكون كل قضية فى الحياة لها حل نجد مثلاً ، " أدواركيور " يقول : إن دماغاً فلسفيا موحداً يستطيع أن يحكم كل قضية فى الإسلام أعلى من تطورنا الفكرى ، هذا رجل

---

[1] جريدة الأخبار المصرية الصادرة فى ١٩٩٨/٦/١٩م .

إنجليزى – يقول الشيخ الشعراوى – صادفته فى فترة من الفترات نخوة للحق فقال هذه الكلمة .

ثالثاً : ألا يتعارض المنهج مع حقائق الكون المادية التى سوف تنتهى إليها العقول – وهذا " إليكس لوازين " يقول : وقد خلف محمد –ﷺ– للعالم كتابا هو سجل البلاغة وآية الأخلاق ، والانسجام تام بين تعاليم الإسلام وبين القوانين الطبيعية فلا يوجد تعارض بين حقيقة علمية وحقيقة قرآنية .

رابعاً : أن تكون شعائر هذا المنهج التى تأخذ الإنسان من حركة حياته إلى حركة خاصة بربه بسيطة لا تستوعب كل وقته ، وحركة الحياة نوعان :

حركة تعود على بالنفع المادى .

وحركة التقى فيها بربى .

هذه يجب أن تكون بسيطة فى شعائرها قصيرة فى زمنها يقول القسيس بودلى الأمريكى : إن القسيس بطرس لو عاد إلى روما لامتلأ عجبا من الطقوس الدينية الضخمة وملابس الكهنوت المزركشة ، ولن يعيد البخور ، ولا الصور ، ولا الرقع ، ولا التماثيل إلى ذهن أى شئ من تعاليم سيده المسيح ولكن لو عاد " محمد " إلى أى مسجد من المساجد المنبثة فى العالم ما بين لندن إلى زنزبار لوجد الشعائر نفسها البسيطة التى كانت تقام فى مسجده بالمدينة المقام من اللبن والأجر وجذوع الأشجار .

ويختتم الشيخ الإمام الشعراوى – رحمة الله – حديثه بإلخص ويؤكد ما قاله فى خصائص منهج الإسلام فيقول :

لدينا دين كتابه موثق عن الله توثيقا يقينيا ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[١] منهج شامل لقضايا الحياة مستوعب لها غير مصطدم بل منسجم مع حقائق الكون العلمية بساطة شعائر ، بحيث لا تستغرق جهدا ولا زمنا طويلا .

إن دينا كهذا مستوف لهذه العناصر لاشك يحمل معه عوامل خلوده ..اهـ " ولن تحل مشكلة بيئية – فضلا عن غيرها من المشاكل المحلية والعالمية – إلا إذا كان لهذا الدين حضور واستدعاء،ولعل المسلمين يبينون باحتكامهم إلى هذا الدين فى كل ما شجر بينهم من القضايا الخاصة،والعامة ، والمحلية،والدولية ، والبيئية –لعلهم يبينون للعالم-بالأفعال قبل الأقوال – أن العالم أحوج مايكون – ليحل مشاكله – إلى الإسلام ، ولعل قلوب المؤمنين تخشع لما نزل من الحق فيمسّكون بالكتاب وينقذون العالم من هذا الضلال والشقاء والضنك الذى يعيش فيه ، والذى جلبه كل من أهل الكتاب بفسقهم وبعدهم عن الدين الحق – فكانت العلمانية التى تتمثل فى عزل الدين عن الحياة أو الكفر به جملة وتفصيلا ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[٢] ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾[٣]

وفى الختام أرجو أن اكون قد وفقت فى تقديم شىء ذى بال فى هذا الموضوع الكبير الذى يحتاج إلى تضافر جهود الأفراد والجماعات والهيئات والدول ، فإن اكن قد وفقت فلله الحمد والمنة ، وإن كانت الأخرى فحسبى أننى حاولت واجتهدت فإن لم أوفق فى الحصول على أجرين ، فإننى أطمع فى فضل الله ألا

---

(١) الحجر /٩ .

(٢) الممتحنة /٥ .

(٣) الحديد /١٦ .

يفوتنى أجر واحد ، ولعل القارئ الكريم يعذرنى إذا أخطأت حين يعلم ويتذكر هذه المقولة العظيمة،كل إنسان يؤخذ منه ويرد عليه إلا صاحب الروضة الشريفة – صلى الله عليه وآله وسلم :-

والحمد لله فى النهاية كما حمدناه فى البداية ، وصلى الله على معلم الناس الخير وعلى آله وصحبه وسلم .

أ.د/ هاشم عبد الظاهر إبراهيم

أستاذ الدعوة والثقافة الإسلامية بجامعة الأزهر

وعميد كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بقنا